

## الفصل الثالث

الأسماك في مهاجرها



obeykandi.com

كانت الهجرة عند الناس من قديم الزمان انتجاعا للرزق ، أو حبا في الاستطلاع أو خوفا من انتقام ، أو تخلصا من عار ، أو ملالا من مقام ، أو بعدا عن استعباد أو استشفاء بموقع ، أو تحقيقا لحيال ، أو مباهاة بمال ، أو استمتعا بنعيم ، أو استزادة من علوم ، أو معرفة بشعوب ، أو خدمة لدولة ، أو فتحا لاتساع ، أو غزوا لقوة ، أو استكشافا لمجاهل .

• ذلك ما يفعله الانسان ، فيلقى من مواطنيه كل اعجاب وتقدير .  
وتخلد ذكراه وتقام له التماثيل ، وفاق ما لقي من مشاق ، وما اقتحم من صعاب ، وما أدى من أجل الأعمال .

ولا شك في أن رائد الانسان في هذا هو عقله الهادي و ارادته الفعالة ، أما السمكة فنجد أنها صاحبة الفضل في اقتحام هذا الميدان وضرب الأرقام القياسية فيه ، وإذا ما رأينا ما تفعله ، وما تقطعه من مسافات وبحار وطرق وأنهار ، تقضى فيه أياما بل أسابيع بل شهورا ، على ضآلة حجمها ، وحدود طاقتها ، وصعوبة مسالكها في الماء ، وما تتعرض له من أخطار قاسية ، تأخذنا الدهشة ، فتتضاءل - ولها أن تتضاءل - قوة الانسان في هذا المضمار .

وان كانت هجرة الانسان ارتجالية أو انفرادية ، تتحكم فيها ظروف عارضة ولا تسير طبق خطط موضوعة مرسومة ، وليس لها رابط ، ولا بينها ارتباط ، فهي بذلك لا تسمو الى نظام الأسماك في مهاجرها وفي جولاتها ، وهو نظام لا يشذ ولا ينبو ، ولا يخل ولا يمل ، يتبع البصيرة الهادية ، والغريزة الداعية . صنع الله ومن أحسن من الله صنعا . صدق الله العظيم .

### لقاء الصيد والصيد :

• هجرة الأسماك لها ميعاد يلتقى فيه الصيد والصيد .  
ما أشبه العام بالعام ، واليوم باليوم ، في مطاوى الزمن ، وعلى كر

السنين يذهب الى عودة ، وينتهي الى رجعة ، ويعود الصياد ليتقابل مع زميله الصياد ، فى المكان المعلوم والوقت المرقوم ، كل بسفينته ، يعد عدته ، ويدلى بدلوه فى الدلاء ، فهو يوم الاجتماع سنة بعد سنة ، وفيه اللقاء ، بغية الرزق . وبغية الصيد والغرض واحد والهدف واحد ، والمكان واحد . واذا بالصيد هو الصيد ، تقصد مكانها المعروف المألوف ، لغريمها المتربص الذى يترقبها فى لهفة ، ويستقبلها فى شوق وحرارة ، وهى قادمة تنهادى من مكان سحيق ، لقضاء محتوم ، وتراها قادمة زرافات زرافات ، وترى السفن ترابط فى المكان المقدور ، فتملؤه وتعمره وتغمره ، فتجمع وتحصد وتملا وتفرغ ، تنشر الشباك وتضمها ، وهى كلما أخذت من الأسماك فوجا حل محله فوج ، وكان الأسماك تلقى بنفسها على الشباك القساء لتكون مع زميلات لها سبقتها من قبل ، أو ظنا منها أنها سوف تغلب البشر وتتغلب على شبابه وشراكه .

وفى صيدها اسعاد وحياة وفرحة ، وهو عيد لهؤلاء الصيادين . يحتفلون بمقدمه ، ويعملون فيه أياما ، تمتد الى أسابيع ، وقد تصل الى شهور ، فى كد وكدح ، ونشاط ومثابرة ، حتى يحقق الله آمالهم ، فيبتهجون بهدية الزمان والمكان ويفتنون على حساب هذه الأسماك المسخرة لبنى الانسان . ذلك تقدير العزيز الرحمن .

حتى اذا ما انتهى الموسم ، وانتهى أمر هذه الأفواج المهاجرة من الأسماك ، فمنها من قضى نحبه ، ومنها من أفلت ونجا ، أقفر المكان ، ونزح الشباب والشيب والغلمان ، وهكذا كان المكان بالأمس خلوا من الناس ، ومجدبا من السمك ، فلما انقضى الموسم عاد كما كان خلوا من السمك ومجدبا من الناس .

وما أشبه هذه المواسم . مواسم هجرة الأسماك ، ومواسم صيدها ، بانتجاع الناس للمصايف والمشاتي ، واذا بالأماكن عامرة مكتظة ، ثم اذا بها خالية قفراء ، تصفر فيها الرياح ، وكان لم تغن بالأمس . وهكذا تسعد البقاع وتشقى ، فى جولات الفلك الدوار ، الذى لا يقر على قرار . والعام عند الصياد فصول محددة معينة ، لكل منها ثماره ، يحصدها فى ميعاد موقوت ، لا يستقدم ساعة ولا يستأخر . ولئن اختلفت كمية المحصول ، وقيمة الرزق عاما عن عام ، فلن ينسى السمك أن يفى بعبادته ، فى اليوم المحدد لزيارته ، وكأنه يحج الى البقعة التى قضت على أسلافه ، تحية منه ووفاء للذكرى الخالدة المتجددة .

وكما تظهر الأسماك فى موعد معين ، فهى تختفى فى وقت معلوم ،

وما أشبه الصيد والصيادين بفلاحة الأرض والفلاحين ، في مواعيد بذر المحصول وحصده .

ونخلص من هذا كله بنتيجة ثابتة هي أن دورات هجرة الأسماك منتظمة انتظاما عجيبا ، بحيث يخلف النوع ما سبقه من الأنواع ، لا اعتداء على حق ، ولا شذوذا عن دور مرسوم ، وكأنها اتفاقات تقليدية وراثية ، وإن لم تكتب على قصاصات من ورق أو تثبت في سجل مكين ، وبالتالي ما رفع أمرها إلى قضاء ولا إلى تحكيم ، فما أحكم السمك وأقربه للروح الانسانية ! هذه قوانين الطبيعة صريحة سافرة ، لا استعمار ولا استكراه ولا غصب ولا حلف ، انه فضل الله على الانسان فهل من مدكر ؟ قتل الانسان ما أكفره !؟

ولقد كانت النظرية المعروفة حتى القرن الماضي أن الأسماك كالطيور، تتجمع في مكان واحد ، كفرق الجنود ، وتبدأ سيرها من مكان معين ، في جموعها الحاشدة في طريق رحلتها إلى المكان المقصود ، وأن لها سبيلها المعتاد إلى هدفها المنشود حتى يصل سالما إلى آخر المرحلة . ينتشر في البحر ، ليعود إلى المكان الذي ابتداء منه في العام السابق ، فيتجيش بعناصر مجتدة مستجدة ، تسير في ركابه مرة أخرى لتؤدي الرسالة الأزلية ، وهكذا دواليك .

ولكن ثبت أخيرا أن الأسماك إذا ما حان وقت الهجرة ، بدأتها من حيث تكون ساعية إلى هدفها . لا ينتظمها شمل . وإن كانت تربط بينها غريزة مسددة الأهداف فتتلاقى في طريق الحج . وكأنها كانت على ميعاد . لتصبح موسما وعيدا وبهجة للصيادين .

ومن الطريف أن هناك ظاهرة ثابتة . تبدو للفاحص المدقق ، هي أن الماء الذي ينتهي به المطاف ، يستعد لملاقاة الصيد ، ويتزود بخصائص جديدة ، لم تكن له من قبل ، وتختفي بعد انتهاء هذه المقابلة ، فتمتلئ المياه قوة ونشاطا بما يحدث فيها من تحول في نسب الأوكسجين والحرارة . وهذه الخواص وإن كانت في الواقع من الخصائص الدائمة للماء ، ومن صفاته المستقرة ، إلا أنه في غضون هجرة الأسماك ، تقع فيه تغيرات واضحة ، تكاد تجعل له خواص جديدة تعود سيرتها الأولى إذا ما انتهى الموسم ، وانقض السامر (١) .

وليست الهجرة لدى الأسماك وليدة الصدفة ، ولا هي نتاج الارتجال

(١) هذا ما يفوه الصيادون ويؤمنون به وقد يحتاج إلى بحث علمي لاثباته .

وإما للهجرة أحكام ، وللطبيعة ناموس والهام . تخضع له الأسماك فتجذبها جذبا الى القيام بهذه الرحلة الدورية ، فترى مكانها قد ملأها قبيل الهجرة فأصبح غير ملائم لبقائها ، بل ليكاد يوحى اليها أن تسعى الى المكان النائي الذى يعد نفسه للقائها ، وتجد فيه راحة وقرارا ، وطعاما مريئا وشرابا هنيئا .

والسمك دائم على الهجرة ، سواء أكانت هجرة طويلة المدى بعيدة الآفاق ، أم قريبة المزار محدودة المعالم ، ويخضع ذلك كله الى ضرورة التوافق والانسجام بين رغبات ملحة فى بواطن الأسماك ، وبين عوامل الظروف والمكان والزمان .

من ذلك أن فصيلة سمك الكارب ( الميروك ) يجيئها وقتها . فتدعوها شريزة ملحة الى تغيير مكانها فى البركة الواحدة ، فتهدف الى مكان آخر فى نفس البركة ، يكون أكثر دفئا ، وأغنى عشبيا ، حيث تجد البيئة الطيبة التى تحتاج لها كى تبيض وتفقس فتراها تحج الى هذه البقعة ، دون سائر مواقع البركة ومواضعها ، وهذا هو الطريق الذى رسمته الطبيعة لعظم الأسماك فى مثل هذه الظروف .

أما الأسماك التى تتخذ هجرة طويلة المسافات ، وتقضى فيها شهورا عدة ، فيغلب أن يكون مقرها الاعتيادى فى مياه ملحة ، فتهاجرها فى وقتها المعين الى مياه عذبة أو العكس بالعكس .

وأيا كان الباعث للأسماك على هجرة مواطنها ، ومهما غزوناها الى رغد المهجر أو الى ملامة جوه للأسماك ولصغارها المنتظرة ، فإنا لا نعدو الواقع اذا قلنا أنها فعلت ذلك عمدا واختيارا ، ولكن العقل أو التفكير ، لم يتبها للأسماك فى واقع الأمر ، وإنما هى قوة الله مدبرة هادية مرشدة ، ترسله نظاما دقيقا محكما ، تسير عليه هذه المخلوقات ، فلا يحوجها الى عقل ولا الى تفكير ، ويعوضها ببصيرة وغريزة ، ويوجهها الى ما يحفظ كيانها ويبقى على سلالاتها ، لتقوم بدورها فى نظام الكون ، ولو أننا اطلنا الفكر فى عجائب خلق الله وحسن نظامها وتنظيمها ، لانتهى بنا الخيال الى أن نسجد لله شكرا ، ونحمده على ما سخر لنا من مخلوقات - « وهو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا » - صدق الله العظيم .

#### مصر مهجر السردين :

قلما نجد حانوتا أو مطعما ، فى مدينة أو قرية ، خلوا من صندوق من السردين المحفوظ ، فهو طعام معروف فى العالم ، ميسور للأكلين ،

لا يحتاج الى اعداد أو طهو ووضع يتقدم الأضمة عند المترفين ، ويقتصر عليه طعام كثير من العاديين ، وقد عمت تجارته واشتهرت فى أقطار الأرض لأنه طعام جزيل الفائدة .

كم من صندوق يباع ويطعم فى كل عام ؟ وكم من آكل سعيد ؟ وان بعدت الدار وشط المزار ! فهل لنا أن نتساءل كم واحدا من هؤلاء الناس أرسل نظرة الى السردينة المعدة أمامه فى الطبق ، وفكر جيدا كيف نشأت ، وكيف نمت ، وأين كانت ، ومتى صيدت ، وكيف صنعت حتى أصبحت بين يديه ، وفى تناول فمه !؟ .

الغالبية العظمى من الناس تحسب - والسردين أمامها - أنها تعرف السردين على حقيقته اذا ما رأته فى صندوقه يعلوه الزيت ، أو حتى اذا رآه الرائي وهو لا يزال على شكله المعروف قبل أن يصنع أو يطبخ فما رآه حقا . ليس هو الذى يحفل الصورة الحقيقية للسردين وهو يرتع فى البحار . فان السردين ما يكاد يفارق الماء حتى يفقد لونا كان ناضرا وبريقا كان يخلب الأبواب ويزرى بالدرد والجواهر ، وان كان هذا اللون لا يزيد فى سمكة السردين على اللون الأزرق الفاتح ، والأبيض الدرى ، ولكن لآله الوضاعة يعكس الألوان وأزهاها وأبهرها .

ومن شاء أن يعرف السردين على حقيقته ، ويرى بهاء ألوانه ، وبريق لمعانه ، فليجشم نفسه الوقوف مع الصيادين ، وهم يخرجون الشبك من الماء . عندئذ يرى أبهج المناظر وأحلاها ، سيرى كتلة من الدرر البراقة ، ومجموعة من الجواهر المتوجة الخفاة ، فلا يخيل اليه أن هذا هو السردين .

وسرديننا المصرى ، أو الذى نصيده فى المياه المصرية . يظهر أسرابا وزرافات وأفواجا بعد أفواج ، فى مواعيد يعلمها الصيادون ويترقبونها ويجوبون المياه استطلاعا للكسب المنتظر المرموق ، فهم يخرجون بدورهم زرافات وأسرابا ، أفواجا تتلوها أفواج عندما يأذن سدا رشيد ودمياط ويتقابل ماء الفيضان العذب ، بماء البحر الملح ، أى فى أواخر أغسطس من كل عام ، وتبلغ الذروة فى أشهر سبتمبر وأكتوبر ونوفمبر اذ يكون النيل قد اكتمل فيضانه ، واختلطت مياهاه الحمراء الغنية بمياه البحر الأبيض المتوسط تحمل اليها الأحياء المائية الدقيقة والنباتات والأعشاب والمواد المعدنية الذائبة فتكون طعاما سائفا مرغوبا تعرف مكانه أفواج السردين فتقبل عليه ، وتلجأ اليه ، يزيدا رغبة فيه ، أن تكون مياه النيل دافئة ، تبعث الحرارة فى ماء البحر البارد ، فيجتمع لها دفء وغذاء ، ويكون لها منه قوت ونماء .

هذه هي العوامل الهامة في هجرة السردين ، وهي تتخذ في غمار هذه العوامل ظاهرة تتميز بثلاثة أدوار . فهي في الدور الأول تحس حافز الغريزة الجنسية ، فتبحث عن الوسط الملائم للافراخ ، وهو الوسط الدفيء الحفيف الوطأة ، فيهيئ لها مصب النيل عند شواطئ مصر ، وكأنها تعرف ذلك بالبصيرة وبالغريزة وبالوراثة القديمة ، فتلجأ الى شواطئنا لتبيض وتفرخ .

وما أن تصل الى الشاطئ الدافئ الملائم . حتى تجد أن النيل قد حمل الى البحر خيراته وطيباته ، فتطمع من هذه الخيرات والطيبات ، وتعبها عبا وتلتهمها التهاما . في لهفة الجائع ، وفي جوع النازح الطويل السفر - وهذا هو الدور الثاني من أدوار هجرتها .

بعد هذا الدور تكون قد تغذت وشبعت ، وسمنت وتقوت ، ثم تضع كل ذات حمل حملها ، وفي الوقت نفسه يكون قد تم اختلاط مياه النيل بمياه البحر ويتغير الوسط المائي على الحيوانات البلاكتونية للنهر والبحر معا ، فيفقد كل من نوعي هذه الحيوانات قدرته وقوته على البقاء ولا يعود غذاء طيبا شهيا ، فيأخذ السردين في التسلل ، ويؤذن موسم الهجرة بالانتهاء ، ورويدا رويدا يقفز الساحل ويعود سيرته الأولى .

### ال شعبان المائي في هجرته :

الحديث عن الدورة الهجرية لشعبان البحر سيفضي بنا حتما الى أن الحقيقة أغرب من الخيال ، وأعجب من الأساطير الروائية التي يتفنن الشعراء والأدباء في خلقها وإبتداعها . فهل سمعت يوما أن أحد مخلوقات الله لا يولد الا يتيما ؟ هذا هو شعبان البحر .

فمن عجيب امر الشعبان أنه اذ تلح عليه الغريزة الجنسية ، يعرف أن نهايته قد دنت ، وأن رسالته قد حان وقتها ، وأن يسلم مشعل الحياة الى سلالته القادمة . فيبحث عن بقعة في قاع البحر ، مبععدة في الظلمة والانعزال شديدة الملوحة . فيضع البيض الصغير على مسافة لا يصل اليها أمهر الغواصين وتبعد عن سطح الماء بما لا يقل عن ١٢٠٠ قدم ، وبهذا تنتهي رسالته ، وتنتهي حياته .

أما هذه البويضات الدقيقة التي قضى عنها الأوبان ، وتركها تحت رحمة الأقدار في البقاع السحيقة المظلمة . فتفقس بدورها حيوانات يتيمة رقيقة صغيرة ، هي في أول أمرها شريطية منبسطة ، ثم تأخذ في التحول الى الشكل الأنبوبي المعروف ، وهنا تواجهنا اعجوبة جديدة ، فإن الذي

نعرفه عن فترات التحول والنمو أنها تستدعى من الحيوان والانسان غذاء ممتازا ، وأكلا نهما . ولكن هذا الشعبان الوليد ، اذ يمر بدورة التحول والنمو وهي تستغرق ثمانية اشهر أو تسعة - يمتنع عن الأكل امتناعا تاما لأن الأسنان البدائية الصغيرة التي كانت بارزة الى الأمام تختفي لتنمو بدلها أسنان قوية كبيرة على فكيه العلوى والسفلى .

وبعد انقضاء هذه الفترة يكون قد اكتمل للشعبان من النمو ما يواجه به عقبات الحياة وأعباءها ، ويستعد للعيش على أكمل ما يكون العيش ، فتنبئه بصيرته وغريزته ، ان لم يعد له مقام فى البحر ومائه الملح ، ولا بد له من ماء عذب يرتع فيه ويمرح .

وهنا نقع على الحاسة العجيبة الغامضة التي تشعر الشعبان بمواقع الماء العذب وتقوده الى مصبات الأنهار ، فيهجر البحر متجها الى مهجره فتلتقى الجموع الناعية التواقفة الى الحياة والى المتعة بالعيش وهي فى طريقها الى الكعبة المنشودة تجمع بينها الغربة ووحدة المقصد والهدف فتصل أفواجا زاخرة الى مصب النهر ، فيقع منها ما يقع فى شبك الصيادين وهو كثير . وينجو من الشباك ما ينجو ، وهو غزير ، وفير ، وهذه هى هجرته الأولى .

واليك العجيبة الثالثة . هذا الشعبان الأصم يؤثر البرك على الأنهار وفيه غريزة تنبئه بمواضع البرك القريبة ، واذا به يخرج من ضفة النهر ، ويتسلق جسوره وجوانبه ، ثم ينساب كالأفعى على الأرض والحشائش ويستمر فى سيره مستعينا بملاسه جسمه المغطى بغشاء مخاطى . ويخب فى سيره حتى يصل الى البركة التي احسها بالهامه ، واختارها سكنا له . أما كيف للسماك أن يبقى كل هذه المدة خارج الماء ؟ . فهذه أعجوبة الشعبان ، لأن جهازه التنفسى مزود بفجوات كثيرة يملؤها بالماء قبل أن يترك النهر ، لينتفع بالهواء المذاب فيه أثناء رحلته التي قدرها تقديرا ، وهو يتأهب لذلك بضيق الفتحة الخلفية لحيشومه كما ذكرنا فى الفصل الثانى .

ويظل شعبان البحر فى الماء العذب ، حتى يكتمل نموه . ويصل الى طور البلوغ ما بين خمس سنوات وثمان ، واذا ذاك تحدث العجيبة الرابعة . فانه ما يكاد يحس بالبلوغ حتى يعرف أنها بداية النهاية ، وأن عليه أن يترك الميدان لأحناش تصغره من ذريته ، فيعود من البركة الى النهر ، متخذا للأوبة طريق الذهاب ، لا يتعثر ولا يخطئ ولا يريم ثم يصعد فى النهر فى جموع كبيرة زاخرة متجها نحو المصب وهو البحر ،

منه ولد واليه يعود ، وهو اذ يصل الى البحر يمتنع عن الأكل . ويصوم صوما تاما . الى أن يجسد الموقع الملائم . ويضع بيضه ثم تلين عظامه ويموت . وهذه هجرته الثانية ويسميتها الصيادون « خرجة الحناش » .

ومن العجيب انه اذ تناديه الغريزة . غريزة العودة الى البحر . يأخذ جسمه في التشكل للوسط المرتقب . ليتحمل الضغط الشديد الذي يقع عليه من الماء المالح في الأعماق البعيدة ، فتتولد تحت جلده فقاعات غازية تساعده على مقاومة هذا الضغط الشديد .

ونختتم حديث هجرة الثعابين بالعجائب العجائب . فانه عندما تنادي الثعبان غريزته ويحين موعد عودته الى البحر ، ان كان غير طليق بان كان مسكنه في بئر مثلا أو أسيرا في حوض مائي ، فلا يمنعه هذا من القيام بدوره نحو مصيره المحتوم فيتبع نفس الدور الذي كان يؤديه فيما لو نجح في الوصول الى البحر ، اذ يصوم عن الأكل وتلين عظامه ، ويفارق الحياة .

ولا حاجة بنا الى القول بان هذه الدورة الثعبانية ، من البحر الى النهر في شبابها أو صباها ، ومن النهر الى البحر عند اكتمالها ومنتهاها ، يتكون منها هجرتان تتجمع فيهما هذه الأسماك ، وتكون صيدا ثمينا للصيد . يعرفه بالميعاد . فيهيء له العدة والعتاد ، ويستعد له أيما استعداد ، ويعتبر مقدمه عيدا من الأعياد عرفه عن الأجداد ويلقنه الأحفاد . على كر السنين والآماد .

### هجرة البورى والطوبار :

#### انظر شكل ٦

قلنا ان الثعبان يقضى زهرة حياته في المياه العذبة ، حتى اذا ما استوى له النضج الجنسي ، اقتحم العوائق والصعاب ، ليسعى الى البحر ، فيبيض وينتهي . أما البورى والطوبار ، فدورة حياته تشبه الثعبان في الجزء الأعظم منها .

فسمك البورى والطوبار هو الآخر يبيض ويفرخ في مياه البحر الملحة التي تناسب ظروفه التناسلية ، ولكن الآباء والأمهات لا تموت ، بل تعود بصغارها ، زرافات ، وأفواجا أفواجا الى موطنها العذب ، حيث تقضى فترة النمو والاكتمال ، حتى اذا انقضى عليها صيفان وأن لها أن تفرخ بدورها خرجت الى البحر ، وهكذا دواليك .



شکل (٦)

وهجرة الأسماك الناضجة من البورى نحو البحر تكون عادة فيما بين شهرى مايو وسبتمبر ثم تعود أفواجا متتالية فى غضون المدة من منتصف سبتمبر الى منتصف ديسمبر ، وان كان موسم توالد الطوبار يتأخر قليلا عن موسم البورى .

وهذه الهجرة يحسب لها الصيادون ألف حساب ، ولها عندهم القيمة الكبرى لأن هذا النوع من الأسماك لذيد الطعم ، غنى بالدهن واللحم له ثمن قلما يصل اليه ثمن نوع آخر من الأسماك . ومن البورى تستخرج « البطارخ » التى تباع بالدينار ، وما هى الا بويضات السمك التى أراد أن يخرج الى البحر ليلقيها ، فأوقعت به شباك الصيادين قبل أن يودى مهمته ، ويخرج سلالته .

### بحث ودراسة فى سمك المياس

المياس سمك معروف فى جميع الجهات الساحلية للقطر ، وله أسماء محلية فى مختلف البلاد ، فهو فى الاسكندرية وضواحيها « مياس » وفى رشيد وضواحيها « زوافخ » وفى بورسعيد ودمياط ومنطقة قناة السويس « أصوار » وله فى شتى هذه المناطق موسم معروف منتظر ، كموسم السردين وموسم هجرة البورى وغير ذلك من الأسماك التى تكثر فى مواعيد معروفة .

ومن غريب الأمور أنه لم تقم الى الآن محاولة علمية جدية لدراسة دورة هذا السمك وطريق مقدمه ومكان افراخه ومواعيد قدومه وعودته وطرق استيظانه . الى آخر ما يجب معرفته عن سمكة من أكثر الأسماك شيوعا لدى المصريين فى فصل من فصول السنة بل فى معظم فصول السنة .

قيل ان المياس يوجد على ساحل المغرب والسنغال ، وتصاد منه كميات صغيرة فى البحر الأبيض المتوسط على الشواطئ المصرية اذا ما قورنت بالمصيد منه على ساحل مراكش . اذ يبلغ متوسط الانتاج منه سنويا فى مصر حوالى ٥٥ طنا بينما هو فى مراكش ٢٨٠ طنا - مما يجعلنا نميل الى الاعتقاد بأن المياس يفتد الى الشواطئ المصرية من المحيط الاطلانطيقى .

ولكننا نرجح بعد ما استخلصناه من ظروف المياس ودوراته ، ان هذا السمك يفتد الينا دائما من الشرق وليس من الغرب كما هو معتقد



شکل (۷)

حتى الآن ، وقد بنى هذا الاعتقاد على وجود المياس بكثرة فى مراكش  
وهى غربى مصر ، فقبل قدومه من المحيط الأطلسى محاذيا الساحل  
الافريقى يتجه الى الشرق حتى يصل إلينا .

وقيل أيضا أنه يغادرنا سائرا الى الشمال ومتجها الى البحر الأسود  
ثم يتم دورته على ساحل أوربا الجنوبية الى الغرب حتى يخرج الى المحيط  
من حيث أتى .

بينما الصيادون وخبراء البحر منهم قد أكدوا لدى بالاجماع أنه يقدم  
من الشرق ليعود الى الشرق ثانية بعد انتهاء دورته .  
ولهذه الأسماك فى مقدمها من الشرق هجرتان .

١ - الهجرة الاولى : وتسمى عند الصيادين المصريين «سمك الملطم» ،  
تقدم فيها الأسماك من الشرق فى مدة الحماسين ( أى حوالى شمس النسيم  
فى أواخر برمودة ) - وهذا الموعد يعادل أواخر ابريل أو أوائل مايو -  
وتصل الى الاسكندرية فى بشنس - أى فى خلال شهر مايو - اذ يكون  
اتجاه الرياح من الشرق فيسهل سير السمك الى الغرب ، ويظل السمك  
سمينا وتتخذ بويضاته صورتها النهائية فى خلال بشنس وبؤونة - أى  
فى مايو ويونيه . وفى ذلك الوقت يكون قد لجأ الى ساحل مصر الغربى  
الرملى حيث يفرخ فى شهر أيب - أى فى يوليو - ويبدأ فى العودة  
فى شهر مسرى - أى فى أغسطس - راجعا الى الشرق .

٢ - الهجرة الثانية : وتسمى عند صيادى السواحل المصرية « سمك  
النيل » تقدم فيها الأسماك من الشرق فى شهر بابيه - أى فى أكتوبر -  
وتصل الى الاسكندرية فيما يسمى عند الصيادين « نوة قاسم » فى  
هاتور وكيهك وطوبه وفى هذه المدة يرابط عند ( سيدى عبد الرحمن  
بالصحراء الغربية ) لأن ساحلها رأسى فى البحر ولا يوجد بها أنواء مهما  
كان هياج البحر . ويفرخ فى أمشير - أى فى فبراير - ثم يعود الى  
الشرق .

ومكان الافراخ على العموم هو الساحل الرملى الغربى لمصر حتى  
العلمين . ولا يصل المياس الى أبعد من سيدى عبد الرحمن . وهو بعد  
يقصد هذا الساحل للافراخ حتى يستطيع أن يحك بطنه على الرمال  
لاستخراج البطارخ ( البويضات ) ومما هو جدير بالملاحظة أن الساحل  
المصرى فى غير هذه المناطق طينى أو به صخور .

وللتدليل على أن سير المياس من الشرق الى الغرب عند القدم  
يثبت خبراء البحر وكبار الصيادين أقوالهم بالأدلة الآتية :

١ - ان المياس يظهر أمام بورسعيد ودمياط وأبى قير قبل أن يظهر  
فى الاسكندرية . ويصاد منه فى تلك المناطق قبل منطقة الاسكندرية

٢ - ان المياس فى قدومه من الشرق الى الغرب يكون سمينا وبه  
البويضات وصائما فلا يمكن صيده بالسنارة ، لأنه لا يقبل عليها  
ولا يبدي أية رغبة فى التهام طعامها ولا يصاد الا بالشباك وفى عودته من  
الساحل الغربى يكون مريضا وجائعا وخاليا من البويضات ، ويقبل على  
طعم ( السنارة ) بشرهة فيحصل صيادو ( البوصة ) على كميات كبيرة  
منه وبغاية السهولة .

٣ - يحدث كثيرا أن يلتقى فوج سمين مبطرخ قادم من الشرق مع  
فوج ضعيف خال عائد الى الشرق ، فى جرافة واحدة ، فى المنطقة  
الغربية ، أو تخرج الجرافة من قرب الساحل أسماكاً من المياس بعضها  
قد ألقى بويضاته والبعض الآخر لا يزال يكن حمله .

٤ - أكد بعض ثقة الصيادين أنهم رأوا ملايين الملايين من البويضات  
واليرقات عائمة على سطح الماء فى الساحل الغربى ، على هيئة النخالة  
المنتشرة فى تجمعات على صفحة الماء .

٥ - فضلا عن هذا كله فإن اتجاه سير الأسماك ذات الأنواع مما  
يهم الصيادين كل الأهمية ، اذ يلقون شباكهم فى طريقها بالتالى بعد أن  
يعرفوا خط سيرها جيدا ، اذ لا فائدة ترجى من القاء الغزولات فى غرب  
الفوج اذا كان متجها الى الشرق .

نخلص من هذا كله الى أن المياس يقدم من الشرق منتجعا مياه مصر  
الأكثر دفئا فى شهر مايو عنها فى المياه الشمالية ، ثم تلقى حملها فى  
الساحل الرمل الغربى لمصر . حتى اذا أقبل أغسطس كانت مياه مصر  
أدفا مما تكون مرغوبة له ، فيعود الى الشرق منتجعا السواحل الشمالية  
الأقل حرارة وتكون معتدلة البرودة . حتى اذا أوشك فصل الشتاء على  
الاقتراب وأخذت مياه البحر الأبيض المتوسط فى البرودة هجرها الى  
السواحل المصرية مرة أخرى ويتصادف قدومه مع وقت الفيضان فيتغذى  
منها وينمو . ثم يعود الى الشرق فى فبراير اذ يأخذ فصل الشتاء فى  
الانتهاء وتنتهى معه برودة الشمال الحادة .

وإذا نظرنا الى وجود المياس بكثرة في مراكش . وما بنى على ذلك من قدوم المياس اليها من الغرب ، فاننا نستنتج منه شيئا يختلف كل الاختلاف فنرى أن دورة المياس الموجودة في مراكش مستقلة كل الاستقلال عن دورة المياس الذى يقدم الى بلادنا ونميل الى الاعتقاد بأن لكل من حوض البحر الأبيض المتوسط شرقا وغربا دورة مياس خاصة به . وربما كانت ايطاليا وجزيرة صقلية هي الحد الفاصل بين الدورتين (١) .

وبذلك يكون المياس عندنا هو من دورة الحوض الشرقى للبحر الأبيض المتوسط . وقد يكون قادمًا من البحر الأسود متخذًا سواحل تركيا والشام الى الساحل المصرى حتى يصل الى الساحل الرملى فيحط رحاله . وفي العادة لا يتعدى منطقة سيدى عبد الرحمن . اذ لم يظهر منه شئ بعد ظهوره فى هذه المنطقة ولعله وقد وجد السطح الرملى الذى يحتك به ليفرخ بويضاته . لا يجد ضرورة للبعد أكثر من ذلك .

وسفن الصيد اذ تخرج لصيد المياس فى مواسمه المعروفة ، يتبعون فى ذلك طريقة أملتها الخبرة والتجربة على طول السنوات .

اذ يقف « ناطور » عند مقدمة السفينة أو فوق ساريتها ويستطلع سطح البحر فيرى المياس واضحا على هيئة قرص أصفر ، واذا كان السرب كبيرا جدا يميل لون القرص الى الاحمرار . وهذه الأسراب تمتد الى القاع نحو عشرة أمتار ، وتلف فى الماء ويحتك بعضها ببعض فى أثناء السير حتى ليصيب بعضها بعضا ومن هذا الاحتكاك تتكون مادة هلامية على ظهر السمك تطفو على وجه الماء على هيئة رغوة الصابون يسميها الصيادون « ملاة » أو « ملقه » .

فاذا أدرك الصيادون وجود سرب المياس ، تشتبك سفينتان معا . وتتجه واحدة الى ناحية والأخرى الى الناحية المضادة لجمع الغزل حول هذا السرب . حتى اذا أحاط بالسمك وخصوصا من اتجاهه الأمامى . أخذ الصيادون فى ضرب الماء بقطع من الحجر أو بالمراسى لتنفير السرب فيفر للنجاة فى مختلف الاتجاهات فيقع فى الغزل اذ تشتبك رأسه بعيون الغزل فلا يستطيع منها فككا .

أما اذا كانت الأسراب قد هبطت الى القساع المعشوشب ورآها الصيادون ، فانهم لتنفيرها من مكانها يغطسون الدفة فى الماء مع تثقيبها

(١) هذا هو رأى أجمع عليه الصيادون المحليون أنسه تحت أنظار علمائنا ليقروا بقدوره بعد البحث العلمى .

بواسطة المرساه ( الهلب ) ثم يجرفون بها القاع لتهديج الأسماك فتهرب خوفا على صغارها فتقع فى الغزل .

ومما هو جدير بالذكر أيضا أن الساحل الرملى بين العجمى والعميد كثيرا ما تمتد به من البر الى داخل البحر السنة من الأعشاب ( القش ) مستقرة على القاع الرملى الساحلى على نحو مترين أو ثلاثة عمقا ، وطول اللسان فى العادة يبلغ من ٢٠ الى ٣٠ مترا وعرضه يتراوح بين ١٢ و ١٠ مترا . ويسمى فى لغة الصيادين « زوف » .

وهذا الزوف يأوى اليه لياس وللوت والقشفس والشراغيش وتستقر تحته تتغذى وتتدفأ .

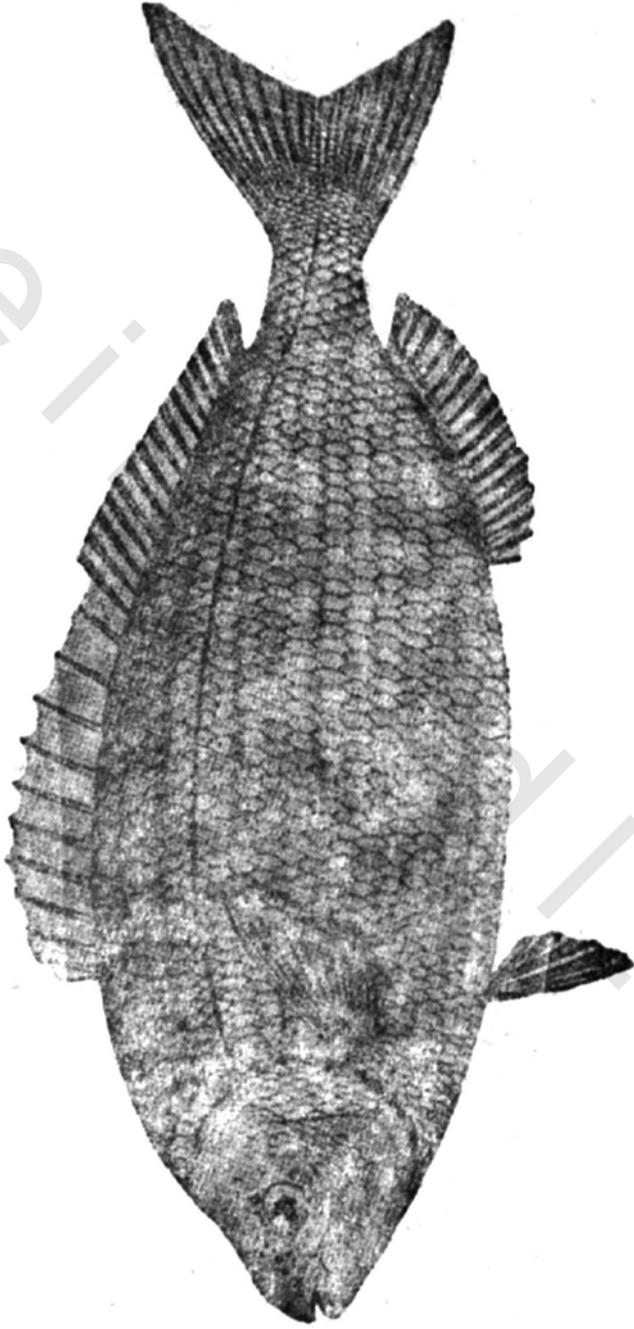
ويعرف الصيادون وجود أسماك فى الزوف ، عندما يلاحظون تصاعد رمال منه على هيئة التبن أو النخالة ، فيكون هذا دليلا على وجود الأسماك ، أما اذا لم توجد بالزوف حركة فلا يكون به سمك .

وعندما تقرر سفن الصيد وجود سمك بالزوف وتقرر الاطاعة به تنزل بعض البحارة يعومون الى البر ومعهم طرف الغزل ، وتقوم السفينة بحركة التفاف حول الزوف الى أن تصل بطرف الغزل الآخر الى الشاطئ ، بحيث يكون الغزل فى ذلك الوضع محيطا بالزوف تماما . ثم يجرف الزوف وما به من الاسماك ، فتمر الأعشاب من عيون الغزل ، ويبقى السمك فى كيس الجرافة .

ولصيد المياس العائد بالسنارة يستعمل سلك طويل فى نهايته ثلاث سنارات صغيرة ويطعم هذا السلك بسمكة من نوع « المغزل » وفى الطرف الأسفل من السمكة تكون السنارات ، فعندما تحاول المياسة التقاط الطعم تشتبك مع السنارات فيخرجها الصياد ثم يعيد القاء الجهاز وهكذا . مع ملاحظة أن صيد المياس بالسنارة يكون بطريقة « التجربة » وذلك بسحب الطعم فى الماء ليخيل للسمك أنه طعم حى فيهجم عليه لالتقاه .

### سمك الصرب ( الحلام ) : انظر شكل ٨

يأتى فى أفواج كبيرة من الشرق قاصدا الغرب فى شهر نوفمبر وعند اكتمال القمر فى المدة المعروفة عند الصيادين باسم « نوة فىضا أى حوالى منتصف نوفمبر يلقى بويضاته على رمال الساحل الغربى ويصطحب معه أسماك الشراغيش والدنيس وهذه أيضا تلقى بويضاتها



شکل (۸)

ويقضى فى الساحل الغربى نحو شهر ، ثم يعود الى الشرق من حيث جاء فى الوقت الذى يسميه الصيادون « نوة الفيض الكبيرة » أى حوالى أواخر ديسمبر .

وعندئذ يظهر على ساحل العجمى والاسكندرية وجليمونوبولو الخ بين الصخور لأنه يأوى الى الصخور لاكل الأعشاب التى هى غذاؤه المفضل كما ذكرنا فى غير هذا المكان .

### سمك البلاميطة : انظر شكل ٩

تسير على هيئة أسراب من الشرق الى الغرب ، ويعرفها الصيادون بسهولة لأنها فى سيرها تخبط وجه الماء بزعانف الذيل طيلة سيرها .

وأحيانا عندما يكون السرب كبيرا جدا يستقر قرب البر وخصوصا فى جونة العيد بالصحراء الغربية وتعرف بلونها الأحمر المائل الى الزرقة بحكم تجمعها . وتكون فى العادة على بعد من ٤ الى ٥ أمتار من الساحل .

وعلى العموم تتجه هذه الأسراب الى الساحل الغربى حيث تستقر على رماله للاحتكاك بها وإخراج البويضات ( البطارخ ) .

وتصاد البلاميطة من بشنسى الى أيبب ( بين مايو ويوليو - ) بالجرفاة على الساحل أو بالكدامية على نحو ٢٠٠ - ٣٠٠ متر بالداخل .

وأحيانا ينصب الصيادون غزولاتهم ليلا على هيئة سدود ويتركونها بحيث تشتبك فيها الأسماك التى تمر من تلك الناحية . فيمد الغزل من البر الى داخل البحر ثم تعمل منه فى الداخل دورة على هيئة جونة والغرض من ذلك أن السمك السائر من الشرق الى الغرب يقع فى الغزل أما اذا سار فى محاذاة الغزل الى الشمال فانه يقع فى الجونة .

وفى الشتاء لا يصاد شئ من الساحل الغربى نظرا لشدة الرياح والأمواج .



شکل (۹)